معرفة الورثة الحقيقيين للأنبياء

غلام محمد قمر الأزهری*

Abstract:

"This research deal with the topic"cognition of inheritors of the prophets."It has been mentioned that the knowledge Is the first and core strength, Bestowed by God on man, And virtues by the whole creation, It was for knowledge and knowledgeable every high position in the realigns from prophet Adam to prophet Muhammad (peace be upon him), but he declared them the inherits of the prophets, And compared them to the stars to guide them in the darkness of land and sea. There is tow kinds of Knowledge, acquired, and lodunny (gifted by God). The prophets' did not receive knowledge with their efforts but it was the gift of God By revelation. There are also other ways of knowledge, such as, through inspiration, detection etc. I explained that the real inheritor of prophet had gifted knowledge by God, with acquired knowledge, And that he is the real inheritor of the prophets. So the cognition of inheritors of the prophets is very necessary, in order to preserve the faith."

Key words: Prophets, Inheritence, Revelation, Intuition.

إن القوة الأولى والأساسية التى أنعم الله بها على الإنسان بعد خلقه هى العلم وفضله بها على جميع الخلق، والعلم هو نقطة البداية لمعرفة الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - وهو الآله لتقدم ونجاح حياة الإنسان المادية والروحانية بها كشف ظلمات الدنيا وجهلها ليس هذا فحسب, بل أضاءت الدنيا بنور العلم واصبحت بقعة من النور. و بقوة العلم ينجز الانسان أعمالا محيرة للعقول فى هذا الكون الواسع والفضاء كل يوم, حتى وصل الى المريخ بعد أن سخر القمر بل يستطيع ان يصنع اكثر من ذلك فى المستقبل أو المآل بقدرة الله.

ولو أمعنا النظر فى تاريخ الإنسانية فستتضح هذه الحقيقة مثل الشمس أن العلم

* الاستاذ المساعد فى جامعة الازهر بمصر

والعلماء قد كانت لهم مكانة رفيعة في كل الشرائع والأديان من سيدنا آدم الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فسيدنا محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم قد منح علماء الأمة المحمدية لقب "ورثة الأنبياء" بقوله صلى الله عليه وسلم-(العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان في البحر)(۳)

ورفع منزلتهم إلى أوج الكمال. فشبههم بالنجوم التي نهتدي بها في ظلمات البر والبحر فلو لم يكن هناك العلماء لضل الناس الطريق في بحر الجهالة بسبب حرمانهم من العلم.

لأن العلم نور والعلماء ليسوا حاملیه فحسب, بل هم منبعه ومصدره أيضاً, الذين يخرجون الإنسانية من ظلمات الجهل والضلال, الى صراط مستقيم وطريق الهداية والحق, فمثل هؤلاء العلماء هم ورثة الحقيقيّون للأنبياء. حيث كان العلماء الربانيون متخصصين بالعلوم الدينية, والمعارف الإسلامية، قد أوقفوا أنفسهم على خدمة الشريعة الإسلامية, ونشر مبادئها وأحكامها, وهداية الناس وتوجيههم وجهة الخير والصلاح؛ فجدير بالمسلمين أن يستهدوا بهم, ويجتنوا ثمرات علومهم, ليكونوا على بصيرة من عقيدتهم وشريعتهم, ويتفادوا دعايات الغاوين والمضللين من أعداء الاسلام.

سبب اختيار الموضوع

منذ طفولتي إلى الآن سمعت كثيرا من الخطباء والعلماء على المنابر والمنصات الذين يدّعون بأنهم ورثة الانبياء , ويفضلون أنفسهم على الناس , وفي الحقيقة الناس يقدّرونهم ويحترمونهم لانّهم يقومون باداء فريضة دعوة الدّين الحق, وهم يستحقون كل الحب والاحترام, وأخذ الأجر على تبليغ العلم كوظيفة لاحرج فيه وهو جائز مثل الأئمة والمدرسين وغيرهم. ولكن بعض منهم يبيعون الدين بالدنياء ويأخذون ثمنا على دعوتهم للدين وتبليغهم له, فهولاء الذين يحبون الدنياء ويأخذون أجراً على الدعوة, ليسوا ورثة حقيقيين للأنبياء بل أنّهم علماء السّوء, وحذّرنا الرسول صلى الله عليه وسلم- منهم, فيجب علينا أن نعرف علماء الحق ونتّبعهم, فأردت أن أكتب في هذا الموضوع لأن معرفة ورثة الحقيقيين للأنبياء مهم جدا.

منهج الدراسة

اعتمدت في هذه الدّراسة على المنهج التكاملي والمنهج التحليلي, وذلك كالآتي:

۱۔مفهوم العلم والعلماء في اللغة والاصطلاح

العلم في اللغة

يطلق العلم لغة على المعرفة والشعور والاتقان واليقين من مادة علم (ع ل م),

يقال: علمت الشئ أعلمه علما عرفته, ما علمت بخبرك أى ما شعرت به, ويقال: علم الأمر وتعلمه وأتقنه, والعلم نقيض الجهل, وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما.(۴)

العلم في الاصطلاح

العِلْـمُ، بالمفهوم الشامل للكلمة،هو كل نوع من المعارف أو التطبيقات. ويعرف أيضا بأنه"الاعتقاد الجازم المطابق لموجب"فما لا مطابقة فيه- من الاعتقادات الجازمة ليس بعلم۔"(۵)

وعندما نقول: إن "العلم هو مبدأ المعرفة، وعكسه الجَهـلُ" أو "إدراك الشيءِ على ما هو عليه إدراكًا جازمًا". يشمل هذا المصطلح في استعماله العام مجالات متنوعة للمعرفة، قال البعض: إن العلم هو المعرفة وهو ضد الجهل.

*العلماء في اللغة والاصطلاح

كلمة العلماء في اللغة

وقد سبق أن بينا أن العلم في اللغة من كلمة علم وهو نقيض الجهل, فكلمة علماء جمع ومفردها عالم وهو نقيض جاهل, والجاهل هو الذي لم يكن لديه علم أو هو الذي لم يدرك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا, بخلاف العالم, فالعالم هو الذي يدرك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما.(۶)

كلمة العلماء في الاصطلاح

العالم هو الذي يدرك الشيء على ما هو عليه إدراكا جازما, والعالم الشرعي هو العالم بما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى.(۷)لهذا قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-:) من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين۔"(۸)قال الإمام النووي: "فيه فضيلة العلم، والتفقه في الدين، والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله"(۹)

۲۔فضل العلم الشرعي وأهميته

للعلم أهمية بالغة في الإسلام، اهتم به الإسلام كثيرا، ويحث كل مسلم على طلب العلم دائما، وأن يسلك طريقه لأجل النيل به والعمل به، وبالعلم الشرعي يهتدي الإنسان وبدونه يضل ويشقى، وسوف نستعرض أهمية العلم في الإسلام من خلال عرض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح على النحو الآتي :

فلا يستوي عند الله الذي يعلم والذي لا يعلم، فأهل العلم لهم مقام عظيم في

شريعتنا الغراء، فهم من ورثة الأنبياء والمرسلين، يقول الله تبارك تعالى): "هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ")[۱۰] لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم، كما لا يستوي الحي والميت، والسميع والأصم، والبصير والأعمى، فالعلم نور يهتدي به صاحبه إلى الطريق السوي، ويخرج به من الظلمات إلى النور.

ويرفع الله الذي يطلب العلم والذي يعمل به كما يشاء، قال تعالى: (" يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ")[۱۱] أي يرفع الذين أوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم درجات أي على من سواهم في الجنة. قال القرطبي: "أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم" وقال ابن مسعود: مدح الله العلماء في هذه الآية، والمعنى: أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم (درجات) أي درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به.[۱۲]

إن العالم هو الذي يعبد الله على بصيرة، بخلاف الجاهل فإنه لا يعبد الله على بصيرة، لذلك نجد أن الإسلام يأمرنا أن نطلب العلم حتى نعمل بالإسلام وأحكامه على بصيرة، فالذي يصلي وهو يعلم أنه على طريق شرعي هل هو كالذي يصلي من أجل أنه رأى أباه صلى؟ لذلك قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[۱۳] ومن هنا تأتي أهمية طلب العلم.

أمر الله تعالى بالعمل بعد العلم، وقد بوَّب الإمام البخاري بابًا فقال: "باب العلم قبل القول والعمل"، لقوله تعالى: " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ")[۱۴] والعلماء هم أمناء الله على خلقه، وهذا شرف للعلماء عظيم، ومحل لهم في الدين خطير؛ عن أنس - رضى الله عنه- (العلماء أمناء الرسل على عباد الله)[۱۵]، وكذلك عن عثمان رضى الله عنه- (العلماء أمناء أمتى)[۱۶] لحفظهم الشريعة من تحريف المبطلين، وتأويل الجاهلين، والرجوع والتعويل في أمر الدين عليهم، لأنهم خلفاء الانبياء، أخرج البزار فى مسنده (العلماء خلفاء الانبياء).[۱۷] فقد أوجب الحق سبحانه سؤالهم عند الجهل، فقال تعالى: (" فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ")۔[۱۸]

۳۔ علم الأنبياء الكرام

وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة عن هذا الموضوع منها: قوله تعالى: "وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً"[۱۹] أى أعطينا كل الأنبياء من عندنا نبوةً وعلماً نافعاً.

ويبين الأمام الطبرى فى تفسيره لهذه الآية الكريمة "أن كلمة "كلاً" هنا يراد بها سيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام - وكل هؤلاء الأنبياء الذين مرّ ذكرهم فى أول

هذه السورة، و"حُكماً" المراد بها النبوة، و"علماً" المراد بها العلم بأحكام الله عز وجل[۲۰] وعلماء الحق هم ورثة الأنبياء لهذا العلم والأمناء عليه.

قال الله تعالى عن العلماء: "يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ"[۲۱]

وجآء في الحديث النبوى (إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[۲۲] أَخَذَ أى بِحَظٍّ وَافِرٍ مِنْ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ.[۲۳]

لا شك فيه إن العلماء ورثة الأنبياء والرسل وأنهم لم يتركوا في ميراثهم ديناراً ولا درهماً أى الأموال والعقارات والأراضى، لكنّهم تركوا العلم ميراثاً فالذى يأخذ من هذا الميراث فقد نال من الخير جزءاً كبيراً.

في هذا الحديث الشريف يؤكد النبى صلى الله عليه وسلم- ان العلماء فقط هم ورثة الأنبياء. وأيضا لا شك في هذا أن الوارث لا يجد الا ما يترك له مُوَرثُه. والأنبياء لا يتركون في ميراثهم وتركتهم ديناراً ولا درهماً ولكنّهم يتركون العلم ميراثاً.

عندما علمنا أن ميراث الأنبياء هو العلم فقط, فمن أين وجدوا هذا الميراث؟ هل حصلوا عليه بجهدهم واجتهادهم؟

۴۔ انواع العلم

أن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان

الأول: علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده.

والثانى: علم لدني، يهبه الله لمن يمن عليه من عباده[۲۴] لقوله {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}[۲۵] يعنى هذا العلم عطاء من الله لعباده

ولكن هناك فرقا بين عطاء الله بسبب، كأن يذهب إنسان ليتعلم العلم ويمكث عشرين عاما ليتعلم، وهناك إنسان يفيض الله عليه بموهبة ما، ولذلك يقول أهل الإشراقات: إنه علم لدنى، أي من غير تعب، وساعة أن نسمع □من لدن□ أي انعزلت الأسباب،[۲۶] هناك الآيات القرآنية تتحدث عن, علم الانبياء وحكمتهم ومنها:

۱۔ "وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا"[۲۷]

۲۔ "وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً"[۲۸]

۳۔ "عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى"[۲۹]

۴۔ "وإنّه لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ"(۳۰)

۵۔ "رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ"(۳۱)

۶۔ "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً"(۳۲)

۷۔ "وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً"(۳۳)

۸۔ "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً"(۳۴)

۹۔ "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً"(۳۵)

يتضح من هذه الآيات أن علم الأنبياء لم يكن كسبيا أى ما اكتسبوه بجهدهم وإنما كان فضل من الله تعالٰى عليهم وهبة ربانية لهم, و آتاه الله تعالى لهم من غير سعى. ولا ينكر أحد هذه الحقيقة, لأن كلمة "علّم" و "علّمناه" فى الآيات المذكورة تدل على ذلك, بأن معلم الأنبياء هو الله سبحانه وتعالٰى. ومن المعلوم أن الأنبياء لم يتعلموا العلم من أى إنسان بل علّمهم الله سبحانه وتعالٰى.

وكذلك معنى كلمة "آتينا" أى اكرمنا واعطينا, ومفهوم الكرم والعطاء انهما لايمكن الحصول عليهما بالاجتهاد والمشقة بل يكونان حسب رضا الواهب والمعطى, ولابد أن يطلبهما من الله تعالى بالخشوع والتذلل ,ولكن لايحصل عليهما أحد بمجرد التمنى والاجتهاد.

يثبت من هذا أن علم الأنبياء الكرام كان عطاء الله تعالى وهبة ربانية لهم, وهو العلم اللدنى.

وكذلك ذكر الله تعالٰى عن سيدنا خضر عليه السلام- فى سورة الكهف بقوله: "فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً"(۳۶) المرد ابكلمة "من عبادنا" فى الآية هو الخضر عليه السلام- وهو لم يكن نبيا. ولكن تبين الآية كان لديه علم لدنى. وأيضا تقتضى الآية بأن الذى يكون العالم الحق فى كل زمان لابدّ ان يكون عنده علم لدنى.

۵۔ ماهو العلم اللدنى؟

عرّفه بعض العلماء أنه

-هو علم الغيب (كما) كان علم الخضر عليه السلام- معرفة بواطن قد اوحيت إليه,(۳۷) والمراد بعلم الغيب هو ما كان عند سيدنا الخضر عليه السلام من علم باطنى للأسرار والمعارف والتى اوحيت إليه.

-وهو أخبار الغيوب(۳۸)

- هو ما علمه الله سبحانه من علم الغيب الذى استأثر به ,أو العلم اللدنى هو علم الغيب الذى يعلمه الله لعبده ويهبه إياه بحيث يتأثر به ويؤثر. (۳۹)

-العلم اللدنى هو الذى لا واسطة فى حصوله بين النفس وبين البارى. وإنما هو كالضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف. (۴۰)

يقول الإمام الرازى فى تفسير الآية" وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً "يُفِيدُ أَنَّ تِلْكَ الْعُلُومَ حَصَلَتْ عِنْدَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ."

وأيضا يقول: فَقَدْ تَكُونُ النَّفْسُ نَفْسًا مُشْرِقَةً نُورَانِيَّةً إِلٰهِيَّةً (اى بطريق الرياضات والمجاهدات). فَلَا جَرَمَ فَاضَتْ عَلَيْهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ تِلْكَ الْأَنْوَارُ عَلَى سَبِيلِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ("آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً"). (۴۱)(۴۲)

قال الامام الغزالى: العلم اللدني يكون لأهل النبوة والولاية، كما حصل للخضر عليه السلام حيث أخبر الله تعالى فقال: "وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً"

ثم قال عليه الرحمة: فإذا أراد الله بعبد خيرا رفع الحجاب بين نفسه وبين النفس الكليّ الذي هو اللوح, وحقيقة الحكمة تنال من العلم اللدنيّ. وما لم تبلغ النفس هذه الرتبة لا يكون حكيما. لأن الحكمة من مواهب الله تعالى: ("وَيُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشاءُ، من عباده وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ") ,(۴۳) وهم الواصلون مرتبة العلم اللدنيّ، المستغنون عن كثرة التحصيل وتعب التعلم. فيتعلمون قليلا ويعلمون كثيرا، ويتعبون يسيرا ويستريحون طويلا. (۴۴)

وعرفه ابن القيم :أَنّ الْعِلْمَ اللَّدُنِّيَّ ثَمَرَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَالصِّدْقِ مَعَ اللهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَلَقِّي الْعِلْمِ مِنْ مِشْكَاةِ رَسُولِهِ. وَكَمَالِ الِانْقِيَادِ لَهُ. فَيُفْتَحُ لَهُ مِنْ فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَمْرٍ يَخُصُّهُ بِهِ. (۴۵)

۲۔طرق الوحي

مع أن علم الانبياء كان وهبيا ولكنّهم حصلوه من الله تعالى بطريق الوحى, وكان للوحى طريق ثلاثة:

الأول: الرؤياء الصالحة, مثل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- و سيدنا ابراهيم عليه السّلام.

والثانى :نزول جبريل (عليه السّلام) بالوحى على الانبياء والرسل.

والثالث : كان الله يكلمهم مشافهة ,وكان سيدنا موسى عليه السلام يكلمه الله

كثيرا ولذلك يدعى كليم الله.

كما ذكرنا آنفا أن الله تعالى علّم خضر عليه السّلام- علماً لدنياً.

هل خضر عليه السّلام- كان نبياً أم ولياً؟

قد اختلف العلماء في هذه المسألة على الرأيين, فيرى البعض أنه نبى والبعض الآخر يقول أنه ولى.

-القول الاول: ذكره الإمام القرطبى قال: انه نبى عند اكثر أهل العلم.(۴۶)

وقد ذكر الإمام الرازى ستة أدلة لأصحاب هذا الرأى وضعّفها. وهو يقول: قَالَ الْأَكْثَرُونَ إِنَّ ذَلِكَ الْعَبْدَ -اى الخضر عليه السلام- كَانَ نَبِيًّا وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِوُجُوهٍ. الْأَوَّلُ: أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:"(آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا) وَالرَّحْمَةُ هِيَ النُّبُوَّةُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:"(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ)"(۴۷) وقوله:"(وَما كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ)"(۴۸) وَالْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ النُّبُوَّةُ، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ نُسَلِّمُ أَنَّ النُّبُوَّةَ رَحْمَةٌ أَمَّا لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ رَحْمَةٍ نُبُوَّةً.

الْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى:"وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً" وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ تَعَالَى عَلَّمَهُ لَا بِوَاسِطَةِ تَعْلِيمِ مُعَلِّمٍ وَلَا إِرْشَادِ مُرْشِدٍ وَكُلُّ مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ لَا بِوَاسِطَةِ الْبَشَرِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا يَعْلَمُ الْأُمُورَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللهِ. وَهَذَا الِاسْتِدْلَالُ ضَعِيفٌ لِأَنَّ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ تَحْصُلُ ابْتِدَاءً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَذَلِكَ لَا يَدُلُّ عَلَى النُّبُوَّةِ.

الْحُجَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:"هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ"(۴۹)

وَالنَّبِيُّ لَا يَتَّبِعُ غَيْرَ النَّبِيِّ فِي التَّعْلِيمِ وَهَذَا أَيْضًا ضَعِيفٌ، لِأَنَّ النَّبِيَّ لَا يَتَّبِعُ غَيْرَ النَّبِيِّ فِي الْعُلُومِ الَّتِي بِاعْتِبَارِهَا صَارَ نَبِيًّا أَمَّا فِي غَيْرِ تِلْكَ الْعُلُومِ فَلَا.

الْحُجَّةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّ ذَلِكَ الْعَبْدَ أَظْهَرَ التَّرَفُّعَ عَلَى مُوسَى حَيْثُ قَالَ لَهُ:"وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً")(۵۰) وَأَمَّا مُوسَى فَإِنَّهُ أَظْهَرَ التَّوَاضُعَ لَهُ حَيْثُ قَالَ:"لا أَعْصِي لَكَ أَمْراً")(۵۱) وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْعَالِمَ كان فوق موسى، ومن لَا يَكُونُ فَوْقَ النَّبِيِّ وَهَذَا أَيْضًا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرُ النَّبِيِّ فَوْقَ النَّبِيِّ فِي عُلُومٍ لَا تَتَوَقَّفُ نُبُوَّتُهُ عَلَيْهَا. فَلِمَ قُلْتُمْ إِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ فَإِنْ قَالُوا لِأَنَّهُ يُوجِبُ التَّنْفِيرَ. قُلْنَا فَإِرْسَالُ مُوسَى إِلَى التَّعَلُّمِ مِنْهُ بَعْدَ إِنْزَالِ اللهِ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ وَتَكْلِيمِهِ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ يُوجِبُ التَّنْفِيرَ، فَإِنْ قَالُوا: إِنَّ هَذَا لَا يُوجِبُ التَّنْفِيرَ فَكَذَا الْقَوْلُ فِيمَا ذَكَرُوهُ.

الْحُجَّةُ الْخَامِسَةُ: احْتَجَّ الْأَصَمُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ بِقَوْلِهِ فِي أَثْنَاءِ الْقِصَّةِ:"وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي")(۵۲) وَمَعْنَاهُ فَعَلْتُهُ بِوَحْيِ اللهِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى النُّبُوَّةِ. وَهَذَا أَيْضًا دَلِيلٌ ضَعِيفٌ وَضَعْفُهُ ظَاهِرٌ.

الْحُجَّةُ السَّادِسَةُ: مَا رُوِيَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَقَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ عَرَّفَكَ هَذَا؟ قَالَ: الَّذِي بَعَثَكَ إِلَيَّ.

قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا عَرَفَ ذَلِكَ بِالْوَحْيِ وَالْوَحْيُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ النُّبُوَّةِ، وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: لِمَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْكَرَامَاتِ وَالْإِلْهَامَاتِ. (۵۳)

القول الثاني: ذكره الإمام البغوي في تفسيره لهذه الآيات بقوله: "لَمْ يَكُنِ الْخَضِرُ نَبِيًّا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ" أي كَانَ وَلِيًّا. (۵۴)

وكذلك جاء في تفسير السعدي: أن ذلك العبد (الخضر عليه السلام) الذي لقيه، (موسى ويوشع بن نون عليهما السلام) ليس نبيا، بل عبدا صالحا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيا، لذكر ذلك كما ذكره غيره. وأما قوله في آخر القصة: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي} فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء. (۵۵)

وأميل إلى هذا الرأي (بأن سيدنا خضر عليه السلام كان وليا) وذلك بسبب الآتي: لأنه لم ينزل الوحي عليه عن طريق سيدنا جبريل، وكذلك لم يكلمه الله.

٦ ـ طرق الحصول على العلم اللدني

السؤال هو: لو لم يحصل سيدنا الخضر على العلم اللدني بهذه الطرق، فهل هناك طريقة أخرى للحصول على العلم اللدني؟

نعم جاء في القرآن الكريم أن هناك طريقة أخرى للوحي وهي الإلقاء في القلب، كما أخبرنا الله في قوله: ("وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ") (۵۶) في هذه الآية كلمة أوحى معناها ألقى، بأن الله تعالى ألقى في قلوب النحل فكرة اتخاذ من بعض الجبال بيوتاً.

وفي مقام آخر يقول الله تعالى ("وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ..") (۵۷) أي القينا في قلب ام موسى أن ارضعيه ثم إذا خفت عليه من القتل فالقيه في البحر.

يتضح من هاتين الآيتين أن معنى الوحي هو الإلقاء في القلب، لأنه مما لا شك فيه أن أم سيدنا موسى عليه السلام - لم تكن نبية، فالمراد بالوحي اليها، هو الالقاء كما هو الحال مع النحل. وثبت بهذا أن الإلقاء نوع من انواع الوحي.

الإلهام والكشف والمبشرات

وهناك طرق أخرى للحصول العلم اللدنى منها:

-الأول: الإلهام. وهو الشئ الذى يلقيه الله فى قلوب عباده المقربين ليعملوا به.

والإلهام ما يلقى فى الروع بطريق الفيض من جهة الله والملأ الأعلى.(۵۸)

وقال الامام الغزالى :الإلهام أثر الوحي فإن الوحي هو تصريح الأمر الغيبيّ. والإلهام هو تعريضه. (أشارة وكناية عن أمر غيبى) والعلم الحاصل عن الوحي يسمى علما نبويّا. والذي عن الإلهام يسمى علما لدنّيا.

فاعلم أن العلم اللدنيّ هو سريان نور الإلهام. والإلهام يكون بعد التسوية. كما قال تعالى: وَنَفْسٍ وَما سَوّاها،(۵۹) والتسوية تصحيح النفس والرجوع إلى فطرتها. فالوحى هو حلية الأنبياء والإلهام زينة الأولياء والهام علم الأنبياء والأولياء۔(۶۰)

وقال التاج السبكى عن الْإِلْهَامِ بأَنّه إِيقَاعُ شَيْءٍ فِي الْقَلْبِ يَثْلُجُ لَهُ الصَّدْرُ أى ينشرح صدره, يَخُصُّ بِهِ اللهُ تَعَالَى بَعْضَ أَصْفِيَائِهِ.(۶۱)

-هل الإلهام حجة أم لا؟

اختار شهاب الدين السهروردى أن الإلهام حجة لمن وقع له دون غيره, ومال اليه التفتازانى فى بعض مصنفاته, والراجح عند الجمهور أنه ليس حجة, لانتفاء العصمة, وهو قول جمهور الصوفية أيضا).(۶۲) وقال التاج السبكى: إن الإلهام لَيسَ بِحُجَّةٍ لِعَدَمِ ثِقَةِ مَنْ لَيسَ مَعْصُومًا بِخَوَاطِرِهِ.(۶۳)

وكذلك ذكر النسفى فى كتابه المشهور (العقائد النسفية) أن أسباب العلم للخلق ثلاثة: الحواس السليمة, والعقل , والخبر الصادق, ومنه خبر الرسول المؤيد بالمعجزة. وبعد أن حصر أسباب العلم قال: والإلهام ليس من أسباب بصحة الشيء عند أهل الحق)(۶۴)

الثانى :الكشف: هو الإطلاع على ما وراء الحجب من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً.(۶۵)

قال الامام الغزالى: الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه۔(۶۶)

ويقول العلامه ابن تيمية موضحاً معنى الكشف وأنواعه: "فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد مالا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى مالا يراه غيره يقظة ومناماً. وتارة بأن يعلم مالا يعلم غيره وحياً وإلهاماً، أو إنزال علم ضروري، أو فراسة صادقة، ويسمى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤية

مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفاً ومكاشفةأي كشف له عنه". (٦٧)

فينكشف له من غوامض علوم الدين ما لا ينكشف لغيره، ويكون مع علمه عاملاً، فهذا من كشف الأولياء، وهو كشف ظاهر المنفعة.

ومن الكشف مالا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة، كالاطلاع على سيئات العباد (٦٨)

ولا بد أن يقترن الدين بالكشف، وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فلعدم الدين الذي هو أداء الواجبات وترك المحرمات، وأما في الدنيا فإن الخوارق هي من الأمور الخطرة، التي لا تنالها النفوس إلا بمخاطرات في القلب والجسم والأهل والمال. (٦٩)

العلماء على قسمين باعتبار الكشف

وقال ابن عجيبة في تفسيره: إن العلماء على قسمين من حيث أحوال الكشف.

الأول: إن العلماء بأحكام الله إذا لم يحصل لهم الكشف عن ذات الله يكونون حجة على عباد الله.

الثانى :والعلماء بالله الذين حصل لهم الكشف عن ذات الله حتى حصل لهم الشهود والعيان يكونون حجة على العلماء بأحكام الله. (٧٠)

فالطريق المستقيم هي التي تُوصل إلى حضرة العيان، على نعت الكشف والوجدان، وهي ثلاثة مدارج:

المدرج الأول: إتقان الشريعة الظاهرة، وهي تهذيب الظواهر وتأديبها بالسُنَّة والمتابعة.

المدرج الثاني: إتقان الطريقة، وهي تهذيب البواطن وتصفيتها من الرذائل، فإذا تطهر الباطن، وكمل تهذيبه.

المدرج الثالث: وهو كشف الحقائق العرفانية والأسرار الربانية، فيفنى مَن لم يكن، ويبقى مَن لم يزل، فيقع العيان على فقد الأعيان، وتشرق شمس العرفان فتغطي وجودَ الأكوان. (٧١)

فلا مدخل للحجج هنا، وإنما هو أذواق وكشوفات، فالصواب أن يقول: ثم تزداد قوة علمه، بزيادة الكشف والذوق، حتى يغيب عن وجوده، بشهود معبوده، فيتناقض علمه، فيصير علمه بالله ضرورياً، وعلمه بعدم وجوده ضرورياً (٧٢)

يفهم من هذا أن العبد إذا طهر باطنه وأكمل إصلاحه فسوف يحصل على أعلى درجات الكشف,ومن هذه الدرجة سيفتح أمامه حقائق ورموز الكائنات كاملة ويكون ذلك زيادة على علم العبد صاحب الكشف حتى إن ذات العبد مفتوحة أمام المعبود

الحقيقي. وبعدما ينتهي من العلم الظاهري من الضروري أن يحصل على العلم اللدني وفي هذه الدرجة من الضروري أن ينفي علمه.

ويقول محمد ضيف الله الجعلي السوداني

(كشف الأولياء على قسمين: منهم من ينظر في اللوح فإنه لا يتغير ولا يتبدّل كسيدي علي الخواص. ومنهم من ينظر في ألواح المحور والإثبات , وعدتها ثلاثمائة وستون لوحا فإنها تتغير وتتبدّل , فإذا أخبر الوليّ بكلام ولم يقع فلا ينكر عليه بأن يقال: كذب, بل يحمل على أنه نظر في ألواح المحور والإثبات). (۷۳)

الثالث: مبشرات: وهناك وسيلة أخرى للوحي هي الرؤيا أو المبشرات التي يراها الأولياء والصالحون، أو تُرى لهم. وهي جزء من سبعين جزء من النبوة أو ست وأربعين أو أربعون جزءاً.

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (''لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة'')(۷۴) وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال ذلك في مرضه صلى الله عليه وسلم- الذي مات فيه: ''(يا أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له)''(۷۵)

والمبشرات (الرؤيا الصالحة) هي جزء من أجزاء النبوة لأنها فرع من الوحي الصادر من الله, وتأويل الرؤيا جزء ايضا من أجزاء النبوة لأنه علم لدني يعلمه الله لمن يشاء من عباده(۷۶)

يتضح من هذا أن طرق المذكورة لم تنقطع ولن تنقطع, فان سيدنا الخضر عليه السلام قد حصل العلم عن هذه الطرق كلها او عن طريق واحد منها وكان الله يرشده بها, ويعلمه الأمور الغيبية من أسرار ومعارف , لهذا فإن العالم الرباني, والعالم الحق الذي يكون هو الوارث الحقيقي للأنبياء في كل عصر, لا بد أن يكون حاملا علماً لدنّياً أيضاً مع العلم الكسبي والظاهري.

-المفهوم الآخر لورثة الأنبياء: أن بعثة الأنبياء الكرام هدفها إصلاح وفلاح الإنسانية بإبلاغهم التوحيد الالهي, والدعوة. لهذا فإن الوارث الآن هو الذي يوقف حياته للدفاع عن عقيدة التوحيد وخير وفلاح الإنسانية .فهدفه ومقصده معرفة الحق, حتى أن العالم الذي يعيش حياته لهذه الأهداف فهو يكون الوارث الحقيقي للأنبياء والعالم الرباني.

العلم النافع

الحصول على ميراث الأنبياء ليس فقط بالطرق الظاهرية وإنما أيضا يحصل بالطرق الباطنية والروحانية. فعندما يجتمع العلم الباطني (اللدني) مع العلم الظاهري فهذا

العلم يكون علماً نافعاً بالتأكيد.

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "(الْعِلْمُ عِلْمَانِ: فَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ)."(۷۷)

والحديث يدل على ان هناك نوعان للعلم, منهما علم فى القلب وهو يسمى العلم اللدنى والباطنى, والعلم النافع.

۷۔ علامات ورثة الأنبياء الكرام

لعلماء الحق وورثة الأنبياء الحقيقيين علامات كثيرة يمكن معرفتهم بها منها ما يلى:

۱۔ الرسوخ فى العلم: هناك بعض آيات القرآن الكريم المحكمات واضحة المعنى والدلالة, بينما يوجد بعض الآيات الأخرى متشابهة والتى يكون فهم معناها الظاهرى غير واضح ولا يمكن لكل عالم ان يفهمها بل يفهمها الراسخون فى العلم من العلماء فقط كما قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ.(۷۸)

قال العلّامة ابنُ تيمية -رحمه الله-: ((أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ الصَّحَابَةِ كَانُوا يَعْرِفُونَ مِنْ مَعَانِي كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ(۷۹)

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في شأن العلماء الرَّبانيين- هم: ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم, وهم القائمون بما بعثوا به علماً وعملا ودعوة للخلق إلى الله على طرقهم ومنهاجهم, وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة ...وهؤلاء هم الربانيون وهم الراسخون في العلم وهم الوسائط بين الرسول وأمته فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصته وحملة دينه.(۸۰)

۲۔ كذلك فإن الورثة الحقيقيين للأنبياء ينبغى يعرف بعضهم البعض منهم ويتمنى كل منهم للآخر الخير لأن مصدر علمهم ومنبعه واحد لأنهم ورثة الأنبياء. قال تعالى "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ"(۸۱) وقال الله تعالى" وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ"(۸۲) تبين هذه الآيات أن كل من سيدنا إبراهيم

وسيدنا لوط عليهما السّلام كان يعرف كل منهما الآخر.

وايضا يتضح لنا من الآيات السابقة أن العلماء الحقيقيين يتناصحون فيما بينهم ولا يكون أحدهما عدواً للآخر مثلما حدث مع سيدنا ابراهيم عليه السلام عندما علم أن الملائكة أتت لتدمر قرية فقال فوراً إن فيها لوطاً عليه السلام. أى لا تدمروا هذه القرية فقال الملائكة نحن نعلم سوف ننجيه، لهذا فمن المعلوم أن علماء الحق يعرف بعضهم البعض ويتمنى له الخير.

٣۔ يصل علماء الحق إلى درجة كمال الإيمان، لهذا لا يكون فى قلبهم أى بغض وكره لعامة المؤمنين، ولا يوجد بينهم بغض ولا حسد بل هم دائما يدعون لبعضهم البعض بالخير.

فقد كان على هذه الحال وتلك الطريقة الأئمة الأربعة وعلماء السلف. واتضحت فيهم كل العلامات والصفات بدرجة تامة وكاملة. وعلى الرغم من وجود الاختلاف العلمى فيما بينهم إلا أن كلا منهم كان يحترم الآخر كل الاحترام والتقدير مع الاعتراف بفضله وعلمه لهذا السبب بقى ذكرهم حتى اليوم ولا يوجد أى أثر لمخالفيهم.

أخرج القاضي عياض في "المدارك" قال: قال الليث بن سعد: لقيت مالكاً في المدينة، فقلت له: إني أراك تمسح العرق عن جبينك. قال: عرقت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري. قال الليث: ثم لقيت أبا حنيفة، وقلت له: ما أحسن قول هذا الرجل فيك (يشير إلى مالك) فقال الإمام أبو حنيفة: ما رأيت أسرع منه بجواب صادق، ونقد تام.(۸۳)

وكان الإمام الشافعي حين يحدث عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - لا يسميه (تعظيماً له) بل يقول: "حدثنا الثقة من أصحابنا أو أنبأنا الثقة أو أخبرنا الثقة"(۸۴)

وأيضا قال رحمه الله عنه: "خرجت من بغداد، فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد" وقال: "ما رأيت أعقل من أحمد"(۸۵)

عن عبد الله بن الإمام أحمد قال، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ فقال: يا بني: كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض؟(۸۶)

واليوم أين هذا الاحترام المتبادل بين العلماء؟ فأغلبهم يبغضون بعضهم بعضا ويحقدون على بعضهم البعض.

۴۔ المهارة التامة فى العلوم الشرعية: إن الوارث الحقيقى للأنبياء هو العالم الذى تجرى الشريعة فى دمه وأنفاسه وعروقه وشرايينه. ويعرف مجمل الأحكام من القرآن والسنة، والناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل وما اختلف عليه الأسلاف

وما اجتمعوا عليه. ليس ذلك فحسب بل هو المدافع عن الكتاب والسنة ، والقاسم للباطل ، والمقيم للحق بالأدلة والبراهين القاطعة والواضحة الصريحة صاحب أسلوب وبيان جرئ في إثبات الحق.

٥۔ الوارث الحقيقي للأنبياء بالاضافة إلى تفكره الدائم في الشريعة فهو منشغل بصاحب الشريعة حتى أن صاحب الشريعة (الله) يكون معه دائماً، ويرشده وهو يعمل بتوجيهاته. بينما عالم السوء ضال عن الشريعة ويستخدم الحيل والتأويلات لإخفاء الحق وأظهار الباطل وهو سهل بالنسبة له, مثل هؤلاء العلماء أصبحوا في طي الكتمان، أما أهل الحق فيبقوا في التاريخ مثل سلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله- ، ففي زمانه عندما اصطلح الصالح اسماعيل مَعَ الفرنج على أَن ينجدوه على الْملك الصَّالح نجم الدّين أَيُّوب, فِي الحروب الصليبية وَيسلم إِلَيْهِم صيدا والشقيف وَغير ذَلِك من حصون الْمُسلمين وَدخل الفرنج دمشق لشراء السِّلَاح لِيُقَاتِلُوا بِهِ عباد الله الْمُؤمنِينَ فشق ذَلِك على الشَّيْخ مشقة عَظِيمَة فِي مبايعة الفرنج السِّلَاح وعَلى المتدينين من المتعيشين من السِّلَاح فاستفتوا الشَّيْخ فِي مبايعة الفرنج السِّلَاح فَقَالَ يحرم عَلَيْكُم مُبَايَعَتهمْ لأنكم تتحققون أَنهم يشترونه لِيُقَاتِلُوا بِهِ إِخْوَانكُمْ الْمُسلمين وجدد دعاءه على الْمِنْبَر وَكَانَ يَدْعُو بِهِ إِذا فرغ من الْخطْبَتَيْنِ قبل نُزُوله من الْمِنْبَر وَهُوَ االلهُمَّ أبرم لهَذِهِ الْأمة أمرا رشدا تعز فِيهِ وليك وتذل فِيهِ عَدوك وَيعْمل فِيهِ بطاعتك وَينْهى فِيهِ عَن معصيتك وَالنَّاس يبتهلون بالتأمين وَالدُّعَاء للْمُسلمين والنصر على أَعدَاء الله الْمُلْحِدِينَ، فكاتب أعوان الشَّيْطَان السُّلْطَان بذلك وحرفوا القَوْل وزخرفوه فجَاء كِتَابه باعتقال الشَّيْخ فَبَقِيَ مُدَّة معتقلا ثمَّ وصل الصَّالح إِسْمَاعِيل وَأخرج الشَّيْخ بعد محاورات ومراجعات فَأَقَامَ مُدَّة بِدِمَشْق ثمَّ انتزح عَنْهَا إِلَى بَيت الْمُقَدّس فوافاه الْملك النَّاصِر دَاوُد فِي الْفَوْر فَقطع عَلَيْهِ الطَّرِيق وَأَخذه وَأَقَام عِنْده بنابلس مُدَّة وَجَرت لَهُ مَعَه خطوب ثمَّ انْتقل إِلَى بَيت المقدِس وَأَقَام بِهِ مُدَّة ثمَّ جَاءَ الصَّالح إِسْمَاعِيل وَالْملك الْمَنْصُور صَاحب حمص وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إِلَى بَيت المقدِس يقصدون الديار المصرية فسير الصَّالح إِسْمَاعِيل بعض خواصه إِلَى الشَّيْخ بمنديله وَقَالَ لَهُ تدفع منديلي إِلَى الشَّيْخ وتتلطف بِهِ غَايَة التلطف وتستنزله وتعده بِالْعودِ إِلَى مناصبه على إحسن حَال فَإِن وَافَقَك فَتدخل بِهِ عَليّ وَإِن خالفك فاعتقله فِي خيمة إِلَى جَانب خَيْمَتيفَلَمَّا اجْتمع الرَّسُول بالشيخ شرع فِي مسايسته وملاينته ثمَّ قَالَ لَهُ بَينك وَبَين أَن تعود إِلَى مناصبك وَمَا كنت عَلَيْهِ وَزِيَادَة أَن تنكسر للسُّلْطَان وَتقبل يَده لَا غير فَقَالَ لَهُ

وَ اللهِ يَا مِسْكِين مَا أرضاه أَن يقبل يَدي فضلا أَن أقبل يَده يَا قوم أَنْتُم فِي وَاد وَأَنا فِي وَاد وَ الْحَمْد لله الَّذِي عافاني مِمَّا ابتلاكم بِهِ فَقَالَ لَهُ قدر سم لي إِن لم توَافق على مَا يطْلب مِنْك وَإِلَّا اعتقلتك فَقَالَ افعلوا مَا بدا لكم(۸۷) هؤلاء هم العلماء الحق وهذا كان شأنهم.

۲۔ إن الورثة الحقيقيين للأنبياء هم الذين لا يبيعون الدين بالدنيا ولم يطلبوا على دعوته وتبليغه أجراً. لأنهم ورثة الأنبياء الكرام ومنصبهم منصب الأنبياء ودعوتهم دعوة الأنبياء ولا نجد بين الأنبياء أي نبي طلب أجراً على تبليغ دعوة الحق. يقول الله تعالى: " وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ "(۸۸) اى إننى لم أطلب منكم أجر تبليغى لكم الرسالة الالهية بل إن أجرى إلآ على رب العالمين (تكررت هذه الآية خمس مرات فى سورة الشعراء)

وهناك الحديث النبوى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُلَمَاءُ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلَانِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا، فَبَذَلَهُ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِ طُمْعًا، وَلَمْ يَشْتَرِ بِهِ ثَمَنًا، فَذَلِكَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ حِيتَانُ الْبَحْرِ، وَدَوَابُّ الْبَرِّ، وَالطَّيْرُ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَيَقْدُمُ عَلَى اللهِ سَيِّدًا شَرِيفًا حَتَّى يُرَافِقَ الْمُرْسَلِينَ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا، فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طُمْعًا، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا، فَذَاكَ يُلْجَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ، هَذَا الَّذِي آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَبَخِلَ بِهِ عَنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ طُمْعًا، وَاشْتَرَى بِهِ ثَمَنًا، وَكَذَلِكَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنَ الْحِسَابِ.(۸۹) والحديث الشريف واضح جدا فى مفهومه ودلالته.

۸۔ التحذير من شرار العلماء

لقد حذّرنا الرسول صلى الله عليه وسلم -من علماء السوء وسماهم شرار العلماء.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: تَعَرَّضْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ تَصَدَّيْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَطُوفُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهُمَّ غَفْرًا سَلْ عَنِ الْخَيْرِ، وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الشَّرِّ، شِرَارُ النَّاسِ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّاسِ(۹۰)

يفهم من هذا الحديث أن اشد الناس شراً هو أشرّ العلماء وهؤلاء هم علماء السوء لذا فمن الضرورى معرفة ورثة الحقيقيين للأنبياء.

فالعلماء ثلاثة

الأول: عالم استنار بنور العلم واستنار به الناس منه فهذا من خلفاء الرسل وورثة الانبياء.

الثانى: عالم استنار بنور العلم, ولم يستنر به غيره, فهذا إن لم يفرط كان نفعه قاصراً على نفسه.

الثالث: عالم لم يستنر بنور العلم ولم يستنر به غيره, فهذا علمه وبال عليه.

يتضح من هذه الدراسة المتواضعة أن من يحمل هذه الصفات الموضحة به من العلماء هم الورثة الحقيقيون للأنبياء.

خاتمة

- أن العلم هو القوة الأولى والأساسية التي أنعم الله بها على الإنسان وفضله بها على خلقه كله.
- أن العلم والعلماء قد كانت لهم مكانة رفيعة في كل الشرائع والأديان
- أن العلم هو "إدراك الشيءِ على ما هو عليه إدراكًا جازمًا"
- أن الإسلام يأمرنا أن نطلب العلم حتى نعمل بالإسلام وأحكامه على بصيرة.
- أن العلم الذي يعطيه الله لعباده قسمان: الأول: علم مكتسب. والثاني علم لدني.
- أن علم الأنبياء لم يكن كسبيا بل كان وهبياً أي لدنياً.
- أن العلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري.
- أن هناك طرقا خاصة للحصول على العلم اللدني وهي الهام والكشف والمبشرات.
- أن الوارث الحقيقي للأنبياء في كل عصر, يكرمهم الله بالعلم اللدني أيضاً مع العلم الكسبي والظاهري.
- عندما يجتمع العلم اللدني مع العلم الظاهري فهذا العلم يكون علماً نافعاً بالتأكيد.
- لورثة الأنبياء الحقيقيين علامات كثيرة, مثل الرسوخ في العلم, المهارة التامة في العلوم الشريعة, بعداً عن الحسد والبغض والاحترام المتبادل, التفكر الدائم في الشريعة وصاحبها, وأنهم لا يبيعون الدين بالدنيا, ولم يطلبوا على تبليغه أجراً.
- أن علماء السوء أصبحوا في طي الكتمان, أما أهل الحق فيخلد التاريخ ذكرهم.
- أن اشد الناس شراً هو أشرّ العلماء وهؤلاء هم علماء السوء.

الهوامش

۳۔ الديلمى 75/3 رقم 4209.

۴۔ لسان العرب, القاموس المحيط, ومصباح المنير, مادة ع ل م

۵۔ الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول 142/1 لأبى المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي, المكتبة الشاملة, مصر, الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م

۶۔ الأشباه والنظائر 4/2 لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ) دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى 1411هـ - 1991م.

۷۔ الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول 142/1.

۸۔ صحيح البخارى لمحمد بن اسماعيل البخار 24/1 باب العلم قبل القول والعمل.

۹۔ شرح النووى على مسلم لابى ذكريا يحي بن شرف الدين النووى 128/7, طبعة دار احياء التراث العربى, ط الثانية, بيروت.

۱۰۔ سورة الزمر: 9

۱۱۔ سورة المجادلة: 11

۱۲۔ تفسير القرطبى 299/17, أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش طبع: دار الكتب المصرية - القاهرة

۱۳۔ سورة الزمر: 9

۱۴۔ سورة محمد: 19

۱۵۔ كشف الخفا 84/2.

۱۶۔ الديلمى 76/2, رقم 4211)

۱۷۔ أخرج البزار فى مسنده ورجاله ثقات انظر مجمع الزوائد للهيثمى 126/1.

۱۸۔ سورة النحل: 43

۱۹۔ سورة الأنبياء 79

۲۰۔ تفسير الطبرى (485/18 لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي, أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقق: أحمد محمد شاكر , مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420ه

۲۱۔ المجادلة 11

۲۲۔ رواه الترمذى وأبو داود فى سنيهما. حديث حسن, إسناده ضعيف لضعف داود بن جميل

-ويقال: الوليد بن جميل -وكثير بن قيس -ويقال: قيس بن كثير -والأول أكثر، وأخرجه أبو داؤد "3641" في أول كتاب العلم، وابن ماجة "223" في المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، والدارمي 98/1، وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" ص 39و40، والطحاوي في "مشكل الآثار" 429/1، والبغوي "129"، من طرق عن عبد الله بن داود، بهذا الإسناد. وأخرجه أحمد 196/5، وابن عبد البر، 37و38و41 من طرق عن عاصم بن رجاء، به. وأخرجه أبو داود "3642" من طريق محمد بن الوزير الدمشقي، حدثنا الوليد قال: لقيتُ شبيب بن شيبة، فحدثني عن عثمان بن أبي سودة، عن أبي الدرداء ... وهذا سند حسن في الشواهد، فيتقوى الحديث به. وعبارة: "وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورَّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة" أوردها البخاري في "صحيحه" في كتاب العلم، ضمن عنوان باب العلم قبل القول والعمل. قال الحافظ في "الفتح" 147/1 "طبعة بولاق": "طرف من حديث أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم مصححاً من حديث أبي الدرداء، وحسنه حمزة الكناني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها". وأخرجه أحمد 196/5، والترمذي "2682" من طريق محمود بن خداش البغدادي، كلاهما عن محمد بن يزيد الواسطي، حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة، عن قيس بن كثير، به. [يعني بإسقاط داود بن جميل] قال الترمذي عقبه: ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة، وليس هو عندي بمتصل هكذا: حدثنا محمود بن خداش، بهذا الإسناد، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة، عن الوليد بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا أصح من حديث محمود بن خداش. واخرج الديلمى, (العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء وتستغفر لهم الحيتان فى البحر) الديلمى 75/3 رقم 4209.

۲۳۔ تحفة الأحوذي -(ج6/ص 481)

۲۴۔ تفسير السعدى تيسير القرآن الكريم, لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدى صـ 482/1 مؤسسة الرسالة بيروت. وكذلك انظر تفسير الكبير 482/21.

۲۵۔ الكهف 65.

۲۶۔ تفسیری شعراوی, لمحمد متولی الشعراوی جـ 1444/3 ط اخبار الیوم

۲۷۔ سورۃ البقرۃ 31

۲۸۔ سورۃ النساء 113

۲۹۔ سورۃ النجم 5

۳۰۔ سورۃ یوسف 68

۳۱۔ سورۃیوسف101

۳۲۔ سورۃیوسف22

۳۳۔ سورۃالأنبیاء74

۳۴۔ سورۃالنمل15

۳۵۔ سورۃالقصص14

۳۶۔ سورۃالکھف65

۳۷۔ تفسیرالقرطبی16/11

۳۸۔ البحر المحیط للأندلسی 204/7,لأبی حیان محمد بن یوسف بن علي بن یوسف بن حیان أثیر الدین الأندلسي (المتوفی: 745هـ)

۳۹۔ فتح القدیر للشوکانی 354/3 لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوکاني الیمني المتوفی: 1250هـ

۴۰۔ تفسیرالقاسمی (محاسن التاویل) جـ62/1لجمال الدین القاسمی, ط دار الکتب العلمیة بیروت

۴۱۔ تفسیر الکبیر للامام ابی عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدین صـ 482/21-483 الرازی), دار احیاء التراث العربی بیروت.

۴۲۔ الکھف65

۴۳۔ البقرة:269

۴۴۔ نقلاعن تفسیرالقاسمی جـ62/7و63 بتصرف یسیر

۴۵۔ مدارج السالکین لابن القیم- ج446/2لمحمد بن أبي بکر بن أیوب بن سعد شمس الدین ابن قیم الجوزیة (المتوفی: 751ه ط: دار الکتاب العربي, بیروت)

۴۶۔ تفسیرالقرطبی

۴۷۔ سورۃالزخرف:32

۴۸۔ سورۃالْقَصَصِ:86

۴۹۔ سورۃالکھف66

۵۰۔ سورۃالکھف67

۵۱۔ سورۃالکھف69

۵۲۔ سورۃالکھف82

۵۳۔ تفسیرالکبیر للامام الرازی ج482,481/21

۵۴۔ تفسیر البغوی ج204/3 لأبی محمد الحسین بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفی: 510هـ)

۵۵۔ تفسیر السعدی لعبد الرحمن ج 482/1 ط: دار إحیاء التراث العربي—بیروت.

۵۶۔ سورۃ النحل 68

۵۷۔ سورۃ القصص 7

۵۸۔ التعریفات للجرجانی ص 24 لعلي بن محمد بن علي الزین الشریف الجرجاني (المتوفی: 816هـ) ط, دار الکتب العلمیة بیروت—لبنان.

۵۹۔ سورۃ الشمس: 7

۶۰۔ نقلاً عن تفسیر قاسمی ج 62/7 و 63 بتصرف

۶۱۔ انظر حاشیة العطار علی شرح الجلال المحلي علی جمع الجوامع ج 398/2 لحسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفی: 1250هـ) ط: دار الکتب العلمیة.

۶۲۔ انظر, الإعلام بأن التصوف من شریعة الاسلام (صـ 24)

۶۳۔ انظر حاشیة العطار علی شرح الجلال المحلي علی جمع الجوامع ج 398/2.

۶۴۔ شرح القائد النسفیة للنسفی صـ 41

۶۵۔ التعریفات للجرجانی ج 184/1.

۶۶۔ احیاء علوم الدین للغزالی 100/1, دار المعرفة, بیروت.

۶۷۔ انظر مجموع الفتاوی لابن تیمیة 313/11.

۶۸۔ انظر: مرجع السابق 328/11

۶۹۔ انظر: المرجع السابق 330/11

۷۰۔ البحر المدید في تفسیر القرآن المجید جـ 1/ 175 لأبی العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجیبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفی: 1224ه, ط 1419هـ - القاهرة)

۷۱۔ تفسیر البحر المدید لابن عجیبة 54/4

۷۲۔ مرجع السابق (369/5)

۷۳۔ کتاب الطبقات في خصوص الأولیاء والصالحین والعلماء والشعراء في السودان لمحمد ضیف الله الجعلي الفضلي المتوفی سنة 1224 هـ المکتبة الثقافیة بیروت لبنان. (182/1)

۷۴۔ البخاری - کتاب التعبیر - باب المشرات (6990)

۷۵۔ صحیح مسلم (رقم: 479).

۷۶۔ تفسیر حقی، تفسیر روح البیان

۷۷۔ أخرجه ابن شیبة فی مصنفه 82/7 رقم 34361 والدرمی فی سننه 114/1 رقم 364 (رواه الدارمی فی سننه، 373/1 لأبی محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد

الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) , اسناده صحيحه تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ط: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. والمنذری فی الترغیب والترهیب 58/1 لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: 656هـ) ط: دار الكتب العلمية - بيروت .وقال رَوَاهُ الْحَافِظ أَبُو بكر الْخَطِيب فِي تَارِيخه بِإِسْنَاد حسن وَرَوَاهُ ابْن عبد الْبر النمري فِي كتاب الْعلم عَن الْحسن مُرْسلا بِإِسْنَاد صَحِيح.

۷۸۔ آل عمران 7

۷۹۔ مجموع الفتاوی لابن تیمیة: (428/17)

۸۰۔ طریق الهجرتین لابن القیم (516/1)

۸۱۔ سورة هود 70,69

۸۲۔ سورة العنکبوت 32,31

۸۳۔ ترتيب المدارك وتقريب المسالك 52/1 لأبی الفضل قاضی عياض مكتبة المحمدية المغرب

۸۴۔ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (116)

۸۵۔ تاریخ الاسلام للذهبی, سیر أعلام النبلاء للذهبی.

۸۶۔ والتقريب (2/ 111) ط. المكتبة العلمية في المدينة المنورة، وتهذيب التهذيب (286/8).

۸۷۔ طبقات الشافعية الكبرى) 244/8 لتاج ابن تقی الدین الدین السبکی.

۸۸۔ سورة الشعراء 180

۸۹۔ هذا الحديث ورد فی المعجم الأوسط للطبرانی سلمان بن احم ابو قاسم الطبرانی, 171/7 ط دار الحرمين قاهره, وفی الترغيب والترهيب للمنذری 56,55/1 وفی مجمع الزوائد للهيثمی 124/1 لأبی الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ) ط: مكتبة القدسي، القاهرة, وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ, وَفِيهِ عَبْدُاللهِ بْنُ خِرَاشٍ, ضَعَّفَهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو زُرْعَةَ وَأَبُو حَاتِمٍ وَابْنُ عَدِيٍّ, وَوَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّان

۹۰۔ انظر مسند البزار 7/ 93 لأبی بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: 292هـ) ظ مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. ومجمع الزوائد للهيثمی 175/1 وقال: رَوَاهُ الْبَزَّارُ, وَفِيهِ الْخَلِيلُ بْنُ مُرَّةَ, قَالَ الْبُخَارِيُّ: مُنْكَرُ الْحَدِيثِ, وَرَدَّ ابْنُ عَدِيٍّ قَوْلَ الْبُخَارِيِّ, وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ: شَيْخٌ صَالِحٌ.